

تفسير ابن كثير

يقول تعالى : لا يستوي المؤمنون والكافرون كما قال د : { لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون } وقال تبارك وتعالى : { ألم حسب الذين اجترحوا السيئات أي عملوها وكسبوها } أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومما تهم ؟ { أي نساويمهم بهم في الدنيا والآخرة } ساء ما يحكمون { أي ساء ما طنوا بنا وبعدها أن نساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة وفي هذه الدار قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا مؤمل بن إهاب حدثنا بكير بن عثمان التنوخي حدثنا الوصين بن عطاء عن يزيد بن مرثد الباقي عن أبي ذر بـه قال : إن إـ تعالى بنى دينه على أربعة أركان فمن صبر عليهم ولم يعمل بهن لقي إـ من الفاسقين قيل : وما هن يا أبا ذر ؟ قال يسلم حلال إـ وحرام إـ وأمر إـ ونهي إـ لا يؤتمن عليهن إلا إـ .
قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم [كما أنه لا يجتنى من الشوك العنبر كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار] هذا حديث غريب من هذا الوجه وقد ذكر محمد بن إسحاق في كتاب السيرة أنهم وجدوا حبرا بمكة في أس الكعبة مكتوب عليه : تعلمون السيئات وترجون الحسنات أجل كما يجتني من الشوك العنبر وقد روى الطبراني من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن مسروق أن تميما الداري قام ليلة حتى أصبح يردد هذه الآية { ألم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات } ولهذا قال تعالى : { ساء ما يحكمون } وقال د : { وخلق الله السموات والأرض بالحق } أي بالعدل { ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون } .

ثم قال جل وعلا : { أفرأيت من اتخذ إلهه هواه } أي إنما يأتى تمر بهواه فما رأاه حسنا فعله وما رأاه قبيحا تركه وهذا قد يستدل به على المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبیح العقلین وعن مالک فيما روى عنه من التفسیر لا يهوي شيئا إلا عبده قوله : { وأضلهم الله على علم } يحتمل قولین : أحدهما وأضلهم الله لعلمه أنه يستحق ذلك والآخر وأضلهم الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه والثاني يستلزم الأول ولا ينعكس { وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة } أي فلا يسمع ما ينفعه ولا يعي شيئا يهتدي به ولا يرى حجة يستضيء بها ولهذا قال تعالى : { فمن يهدى من بعد الله أفلاتذكرون } كقوله تعالى : { من يضل الله فلا هادي له ويدرهم في طغياناً لهم يعمهون }